أبـوّة المرجعية الرشيدة

من أهم صفات القيادة الرشيدة الأبوّة وعدم الانحياز إلى جهة دون غيرها من الرعية، فإن القائد الموفّق هو الذي ينظر إلى الجميع بعين الأبوّة.

وقد راعى الشارع المقدس هذه المسألة وأخذها بعين الاعتبار، إذ إن جميع الأنبياء والرسل والأوصياء كانوا يتميزون بصفة الأبوّة، فلا يميلون إلى بعض وفق المصالح أو العواطف، بل كانوا يعاملون الناس وكأنهم عيالهم.

ولا يخفى أن من أبرز صفات الأب أنه يغفر زلّة أولاده ويغضّ الطرف عن تقصيرهم بحقّه ويتعامل معهم برحابة صدر، ويشهد لذلك قول نبي الله يعقوب على نبيا وآله وعليه السلام، حينما غفر زلّة أبنائه، فقال كما حكاه القرآن: ﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

بالطبع الأب الحكيم هو الذي لا يترك عياله يتخبطون في متاهات النزاعات، بل يسعى دائما إلى جمع شملهم بالتي هي أحسن ويصحّح لهم زلاّتهم.

ومن يتصفّح سيرة النبي الأعظمﷺ وآله الأطهارﷺ يظهر له بوضوح حالة الأبوّة عندهم، وكيف أنهم بصدورهم الواسعة وحكمتهم البالغة كانوا يجمعون الجميع تحت رعايتهم.

وحتى الإمام بقية الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف و هو في غيبته الشريفة يرسل إلى الشيخ المفيد توقيعاً ينصّ فيه على عدم إهماله المؤمنين كما في التوقيع الشريف: إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء.

وفي زمن الغيبة حيث أوكلت أمور الأمة إلى الفقهاء الأعلام نجد أنهم على مرّ التاريخ كانوا يظهرون حالة الأبوّة مع الرعية ويتعاملون مع الناس وكأنهم عيالهم وأبناؤهم يجمعون شملهم ويتألّمون لمصائبهم ولا يميّزون بينهم مهما كانوا مخالفين لهم.

وكشاهد على ذلك ينقل أن المجّدد الشيرازي؋ عندما كان يسكن سامراء أغرى بعض الأهالي شبّانهم أن يتعرّضوا للمجدّد وينالوا منه، وفي إحدى الأيام أراد أحدهم الزواج، فقال: لأذهب إلى المجدد وأطلب منه تكاليف الزواج، فإن أعطاني فبها وإلا وجدت حجة للاستمرار في أذاه.

وبالفعل ذهب الشاب وطلب من المجدّد أن يعينه في زواجه، فاستجاب له وضمن له تكاليف زواجه، فأسقط في يد الشاب وأخبر والده بالقضية فتعجّب، فما كان من الأخير إلا أن أخبر عشيرته بالأمر فجاءوا إلى المجدّد حاملين قرآنا وسيفاً كناية عن الانتقام أو الصفح.

ولما دخلوا عليه وأخبروه بالأمر وبينوا فلسفة حملهم للقرآن والسيف أجابهم المجدّد قائلاً: إنني لا أكن لأي مسلم إلا الودّ والمحبّة، ولا داعي إلى السيف أبداً.

ونقل في أحوال السيد اليزدي؋ صاحب كتاب (العروة الوثقى) أن الانجليز بعد أن سيطروا على الثورة طلبوا منه أن يصطحب عائلته ويخرج من النجف الأشرف كي ينتقموا من أهلها، فأجابهم السيد؋ قائلاً: إذا أردتم أن أخرج مع عيالي فأهل النجف جميعهم عيالي، فاضطر الانجليز إلىالتراجع عن فعلتهم.

وفي العهد الأخير تجلّت في آل الشيرازي الكرام هذه الخصلة المباركة، فمن عهد الميرزا مهدي الشرازي المقدس المعروف تجد أن هذا البيت فتح أبوابه أمام الكل، فلا يكاد يرجع أحد من داره خائباً أو خاسراً بل عادة ما يرجع بهموم مكشوفة وحوائج مقضية.

وكذا الحال في عهد نجله العظيم المرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي؋ رائد المرجعية وقائد الرعية، فهو على ما عاناه من مضايقات ومشاكل عظيمة تزيل همم الرجال كانت حالة الأبـوّة فيه ملموسة لدى الجميع، فلا يكاد يلتقي به أحد إلا ويلامس منه الأبوّة من سؤاله عن أحواله وتفقّده لأوضاع المسلمين واعتنائه بشؤونهم إلى وصاياه المفيدة وسعيه الحثيث في حل مشاكل الناس.

ولا أنسى أبداً كيف كان؋ يعتني بالمسلمين في شتى أنحاء العالم ويصرّ على تثقيفهم وحلّ مشاكلهم وخلافاتهم فيوصي مقلّديه بل وكل من يلتقي به بالإهتمام بالمشاريع الخيرية التي تسهّل أمور الناس وتحلّ مشاكلهم وتوجّههم نحو الدين والعقيدة.

واليـوم ونحـن نعيش في عهد مرجعية المحقّق الكبير سماحة المرجع آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله الـذي جمع الأمـة على محبّة أهـل البيتﷺ والحـثّ على خدمة المذهب حرّي بنا أن نعرف قدر هذا الأب الرؤوف وننضوي تحت قيادته ونعينه في مسيرته الخالدة في نصرة المذهب ونشر معارف آل محمدﷺ.

ومن البر لهذا الأب الرؤوف أن نعينه في لم شمل المؤمنين وفصل خلافاتهم بدل أن نقحمه في نزاعاتنا المختلفه ونتوقع منه أن يقف الى جهة دون أخرى.